

إطالة تاريخية على معاجم اللغة العربية

Arabic Dictionaries: A Historical View

مجاور سيد مجاور سكران

مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مصر

megawer2000@gmail.com

الملخص:

يتناول المقال قضايا أساسية تخص المعجم العربي، خاصة ما يتعلق بأهميته ونشأته، كما يعرض أنواع المعاجم العربية بصورة إجمالية وتفصيلية من حيث مبانيها ومعانيها، ومن حيث كيفية ترتيب مداخلها، كما يطرح في الختام إشكالية إمام المعجم العربي بسائر المفردات والألفاظ العربية، وهو ما يفتح الباب للإشارة إلى المعجم التاريخي للغة العربية.

الكلمات المفتاحية: المعجم العربي، ترتيب المداخل، معاجم الألفاظ، معاجم المعاني، المعجم التاريخي.

Abstract:

The article deals with fundamental aspects pertaining to the Arabic lexicon, emphasizing its importance and origin. It provides an overview of the different types of Arabic dictionaries in terms of their composition, semantic aspects and entries organisation. In conclusion, we deal with the question of comprising all Arabic vocabulary and words, which leads us to mention the Historical Dictionary of the Arabic Language.

Keywords: Arabic lexicon, entries of the dictionary, types of dictionaries, the historical dictionary.

مقدمة:

قال اللغوي الألماني (فيشر) عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة: "إذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة علوم لغته وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب" (من مقدمة كراسة "المعجم التاريخي" التي أصدرها مجمع القاهرة).

يوجد في العالم الكثير من اللغات التي يتحدث بها بنو الإنسان، ومن أكثر هذه اللغات انتشاراً بين الناس بعد اللغة الصينية -عطفاً على عدد سكان الصين- اللغة العربية، وهي إحدى اللغات التي تندرج ضمن مجموعة اللغات السامية، كما أنّها أحدث اللغات تاريخاً ونشأة، إذ تُعدُّ اللغة العربية من أسى وأعرق اللغات حول العالم؛ لأنّها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ، وهو ما جعل المسلمين يهتمون كثيراً بهذه اللغة وتعلمها لمكانتها الرفيعة لديهم. ومع اتّساع رقعة الدولة الإسلاميّة وانتشار الإسلام واللغة العربيّة في أرجاء العالم دخل الكثير من العجم إلى الدّول العربيّة، وبدأوا يتعلمونها لفهم الحياة وواقع المجتمع العربيّ، والأخذ عن الثّقافة والحضارة العربيّتين، وأدّى هذا التّدخل إلى وجود الكثير من المصطلحات والمفردات غير المفهومة لديهم، ومع تميّز اللغة العربيّة بوفرة مُفرداتها صار لزاماً وضع المعاجم اللغويّة التي تُوضّح المعاني والألفاظ العربيّة ضمن سياقها في الكلام.

1. أهميّة المعجم في اللّغة:

للمعجم العربي فضل ودور كبيران في حفظ اللغة العربيّة لغة القرآن الكريم والحفاظ على رونقها بما تتّصف به من البلاغة والإعجاز، فعندما تنفذ السّبيل في توضيح معاني القرآن الكريم يأتي المعجم بوصفه حلّاً مثاليّاً لهذه المعضلة.

وتتلخّص أهميّة المعجم العربي في اللّغة فيما يلي:

- المحافظة على القرآن الكريم، وضمان سهولة فهمه، مع ضمان صحة تلاوته بشكل كامل.
- دمج الألفاظ اللغويّة والمفردات مع الشّواهد والأمثلة القرآنيّة والنبويّة لضمان استمرارها عبر الزّمن.

- بناء مادّة سهلة ومُيسّرة لتعليم اللّغة العربيّة لغير العرب الذين يريدون تعلمها من الثّقافات والشّعوب الأخرى حول العالم.
- الحفاظ على اللّغة العربيّة من الفساد والضّياع.
- توضيح المعاني والمفردات والألّفاظ اللّغويّة الجديدة والغريبة بطريقة تُبسّطها وتُقرّبها من العقل.
- توضيح طريقة اللّفظ والهجاء لكلّ من المفردات الواردة فيه.
- تحديد النّوع الصرفيّ للكلمة سواءً أكانت اسمًا أم فعلًا أم حرفًا، والتّمييز بين المذكر والمؤنث منها، ونحو ذلك من الأمور الصرفيّة.
- توضيح معنى الكلمة والإشارة إلى مجال استخدامها؛ لأنّ هنالك كلمات عديدة في اللّغة تحتمل أكثر من معنى وهو ما يعرف بالتّغير الدلالي، وتعدّد المعاني؛ بل أحيانًا تضادها.

2. ما هو المعجم؟

المعجم في اللّغة: هو كتاب أو قاموس يضم مفردات لغوية مرتبة ترتيبًا معيّنًا وشرحًا لهذه المفردات، أو ذكر ما يقابلها بلغة أخرى. والمعجم في الاصطلاح: هو كتاب يحوي بين دفتيه شرح المفردات والألّفاظ اللّغوية، وتوضيح معانيها وصفاتها ودلالاتها.

3. نشأة المعاجم:

تعود نشأة المعاجم في اللّغة العربيّة إلى نزول القرآن الكريم؛ لضرورة توضيح المفردات والألّفاظ اللّغويّة فيه، ودخول الكثير من غير العرب في الإسلام وتحديدًا في القرن الثّاني الهجري. وقد سُمّي المعجم بهذا الاسم اشتقاقًا من الفعل (أعجم) بمعنى أزال العجمة، وهناك كثير من الناس يستبدل كلمة المعجم بالقاموس؛ فكلمة القاموس في اللّغة تعني البحر، وقد تكون صفة للمعجم ليس أكثر، وهو الأمر الذي استدعى وجوده لتفسير ما يصعب على الناس من مفردات.

4. أنواع المعاجم بصورة مجملة:

- معاجم المعاني: هي المعاجم التي تحتوي على موادّ لغويّة بغض النّظر عن ترتيب ألفاظها؛ ومن أمثلتها: (متجر الألفاظ) لابن فارس، و(المخصّص لابن

- سيده)، و(الغريب المصنّف) لأبي عبيد القاسم بن سلام.
- معاجم الألفاظ: هي المعاجم التي تشرح وتوضّح المعاني والألفاظ والدلالات الخاصة بالألفاظ اللغوية، وتكون مُرتبةً هجائياً حسب الأصل الأول أو الأخير للكلمة، أو حسب الموضوعات، أو بحسب المخارج الصوتية العربية؛ ومن أمثلتها: (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، و(أساس البلاغة) للزمخشري، و(المحكم) لابن سيده، و(ديوان الأدب للفارابي)، و(المعجم الوسيط) لمجمع اللغة العربية.
 - معاجم المعرّب والدّخيل: هي المعاجم التي تحتوي على الألفاظ والمفردات التي أُدخِلت إلى اللغة العربية من الأقوام والشعوب الأجنبية مثل الروم والفرس وتمّ تعريبها؛ ومن أمثلتها: كتاب (التعريفات) للجرجاني، و(الكليات) لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، و(قاموس طبيّ إنجليزي عربي) لخليل خير الله، و(المعجم العسكري الموحد) الذي أشرفت عليه الجامعة العربية.
 - معاجم الأمثال: هي المعاجم التي تحتوي على الأمثال العربية وشرحها وتوضيح معانيها ومقاصدها؛ ومن أمثلتها: (مجمع الأمثال) للميداني، و(المستقصى) للزمخشري، و(الوسيط في الأمثال) للواحدي.
 - معاجم المفردات: هي المعاجم التي تحتوي على المعاني الخاصة بمُفردات القرآن الكريم والسُنّة النبوية؛ ومن أمثلتها: (المفردات في غريب القرآن) لأبي القاسم الأصفهاني، و(المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبد الباقي.
 - معاجم المصطلحات العلميّة والفنيّة: وهي المعاجم التي تحتوي على شرح المصطلحات الطبيّة والعلميّة والفنيّة وتوضيحها؛ ومن أمثلتها: المعاجم التي يصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية بالرباط في العلوم البحتة كالطب والهندسة والجيولوجيا والفيزياء والحشرات والكمبيوتر والموسيقا، إلخ.

5. أنواع المعاجم بصورة مفصّلة:

تعددت أنواع المعاجم العربية، وتنوعت مدارسها، واختلفت مناهجها على نحو يعزُّ على الحصر ويستعصي على الشرح، لهذا سنكتفي هنا بالإشارة إلى أهم

هذه المدارس والأنواع.

والمعاجم العربية قسمان رئيسيان هما: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني؛ فالنوع الأول يقوم ترتيب مادته على أساس الشكل أو اللفظ والنوع، والنوع الثاني يقوم على أساس المعنى بحيث تجتمع ألفاظ موضوع معين في باب بعينه:

1.5. معاجم الألفاظ: اتخذ هذا النوع عدة اتجاهات في مدارس على النحو التالي:
أ. مدرسة الترتيب المخرجي (أو التقليبات): لعل من المناسب هنا الإشارة إلى المقصود بالترتيب المخرجي؛ فهو الترتيب الذي ارتضاه اللغويون لمخارج الحروف، وتمثله الأبيات التالية:

عن حزن هجر خريدة غناجة *** قلبي كواه جوؤ شديد ضرار
صحي سيبتدئون زجري طلبا *** دهشتي تطلب ظالم ذي ثار
رغمًا لذي نصحي فؤادي بالهوى *** متلهّب وذوي الملام يماري

وهي طريقة تبين بوضوح مثالاً من أمثلة العبقرية الإسلامية؛ فقد أراد الخليل حصر أبنية اللغة العربية من مستعمل ومهمل بطريقة منطقية رياضية؛ إذ رأى أن الكلمات العربية قد تكون ثلاثية أو رباعية أو خماسية، وفي كل حال يمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه، وبتقليب أماكن هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة يمكن الحصول على معجم يضم جميع كلمات اللغة من الناحية النظرية؛ ففي أول كتاب له وهو الخاص بحرف العين استوعب فيه جميع الكلمات التي تحوي حرف العين سواء في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها... فسبحان من خلق هذه العقول!

ومن أشهر معاجم هذه المدرسة: (معجم العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي وهو أول معجم عربي، ولدكتور عبد الله درويش تحقيق للجزء الأول منه، وطبع كاملاً بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، و(تهذيب اللغة) للأزهري، وطبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب أو لجنة التأليف والنشر والترجمة بتحقيق أستاذي وشيخي عبد السلام هارون.

ب. مدرسة الترتيب الهجائي العادي: وقد أخذت صورتين:

▪ الصورة الأولى: ترتيب الكلمات وفق حرفها الأخير (مدرسة القافية):
تعتمد هذه الطريقة على آخر حرف في جذر الكلمة؛ فمثلاً كلمة (مدرسة)

عند الكشف عنها نأتي بجذورها (درس) ونبحث عنها في باب الدال فالسنة فصل الدال. وأعلما وأشهرها (لسان العرب) لابن منظور وأفضل طبعاته طبعة بولاق. وأوسعها (تاج العروس) بشرح القاموس للمرتضى الزبيدي ومن ميزاته اعتناؤه بضبط الأعلام والأماكن، وكان العلامة أستاذي محمود الطنحاني ينبه على ذلك كثيراً وأفضل طبعاته طبعة الكويت، و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي وأفضل طبعاته طبعة مؤسسة الرسالة كما قال العلامة الطنحاني، و(تاج اللغة) و(صحاح العربية) للجوهري الذي عني بضبط الألفاظ المشككة كتابة عناية كبيرة، وقد عظم اعتناء العلماء به؛ فمن مختصر له (كالمختار للرازي) ومن مكمل ومستدرك (كرضي الدين الصاغاني وابن بري) في "التكملة" و"التنبيه والإيضاح" المشهور بحواشي ابن بري، وطبعتهما هيئة الكتاب المصري.

■ **الصورة الثانية:** ترتيب الكلمات وفق حرفها الأول (الترتيب الهجائي العادي): تعتمد هذه الطريقة على الحرف الأول ثم الثاني ثم الثالث بعد الإتيان بجذر الكلمة؛ فكلمة (مدرسة) يتم الكشف عنها هنا في باب الدال فالراء فالسين، وهكذا. وأهمها قديماً (المصباح المنير) للفيومي و(أساس البلاغة) للزمخشري؛ والأول مفيد جداً لممارسي الفقه الإسلامي مع اعتناء شديد بضبط البنيات والحركات، وخاتمة مختصر مفيد جداً في علم الصرف، وربما يكون أفضل طبعاته طبعة دار المعارف، والثاني مفيد لمن يريد أن يقف على مواطن الحسن في لغته الجميلة، ولمن يريد أن يربي ملكته الأدبية وهو نصيحة إمام البيان العربي الرافي، وأفضل طبعاته طبعة دار الكتب المصرية ومصورتها، وهناك معاجم أخرى منها (الجيم للشيباني)، و(جمهرة اللغة) لابن دريد، و(المقاييس) و(المجمل) لابن فارس، وهناك معاجم معاصرة أهمها معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (المعجم الوجيز)، و(المعجم الوسيط)، و(المعجم الكبير) ولم يتم حتى الآن وقد صدر منه أربعة عشر جزءاً تتضمن الحروف من الهمزة حتى الشين.

ومن الجدير بالذكر إقدام بعض الباحثين على محاولة جريئة تمثّلت في إصدار معجم لغوي عربي يعتمد على الكلمات المفردة بحسب ترتيب حروف الكلمة دون النظر لجذرها، بمعنى أن (استخرج) يتم الكشف عنها في باب الألف فالسين فالتاء، ولكن هذه المغامرة لم يكتب لها النجاح.

ج. مدرسة الترتيب بحسب الأبنية: تعتمد هذه الطريقة على صورة اللفظ وتصنيفه صرفياً، ومن أمثلتها:

- معاجم أبنية الأسماء والأفعال: منها (ديوان الأدب للفارابي)، وقد حققه الدكتور العالم الفاضل أحمد مختار عمر، ونشره مجمع اللغة العربية.
- معاجم أبنية الأفعال: منها (الأفعال) للسرقسطي، وقد حققه الدكتور حسين شرف، ونشره مجمع اللغة العربية.
- أبنية المصادر: ومنها (تاج المصادر) لأبي جعفر البيهقي المتوفى سنة 544هـ، وفي كتب الطبقات والفهارس عدد من أسامي هذه المصنفات.

وأنا أرى أن غير المتخصص يكفيه مختار الصحاح أو المعجم الوجيز، مع أساس البلاغة، وإن ضم المصباح المنير والمعجم الوسيط فذلك خير، وإن أراد مرجعاً فلسان العرب، والله أعلم.

2.5. معاجم المعاني:

وقد بدأت معاجم المعاني برسائل مفردة ألفها الأئمة المتقدمون؛ ككتب الإبل والخيل والحيوان والنبات للنضر بن شميل (ت. 203هـ)، والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم، وإلى جانبها ظهرت كتب تجمع أكثر من موضوع ككتب الصفات وكتب الغريب؛ حيث ألف في الأول النضر بن شميل وفي الثاني ابن سلام.. ثم جاءت مصنفات اختصت تماماً بالمعاني أو كادت؛ منها: (المخصص) لابن سيده الأندلسي وهو أوسعها على الإطلاق، و(الألفاظ) لابن السكيت، و(فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي، وأنا أنصح به فترتيبه رائق، وقد حظي بطبعات عديدة من قبل عدد من المحققين.

ومنها ما اهتم بالألفاظ الكتابية والتراكيب الأدبية؛ ومن أفضلها في نظري (جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر وقد حققه العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد رحمه الله، وهناك كتاب (الألفاظ الكتابية) لهمداني وهو غير بديع الزمان

صاحب المقامات، ويروي الصفدي أن الصحاح بن عباد قال لما اطلع عليه: "لو أدركته لأمرت بقطع يده ولسانه!" فستل عن السبب فقال: "جمع شذور العربية الجزلة المعروفة في أوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان الكتاب، ورفع عن المتأدين تعب الدروس والحفظ والمطالعة الكثيرة الدائمة!! ولا شك أنها مبالغة، لكن يكفيننا دلائلها على عظم قدر الكتاب، وضرورة إفادتنا منه.

ومن معاجم المعاني معاجم غريب القرآن والحديث: فأما في غريب القرآن فنجد (غريب القرآن) لابن قتيبة الذي رتبته على ترتيب السور القرآنية، و(المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني الذي رتبته على حروف المعجم. وأما غريب الحديث فألف فيه أبو عبيدة معمر بن المثنى والنضر بن شميل وقطرب والأصمعي وأبو زيد الأنصاري، وكانت كتبًا صغيرة لا تعرف الترتيب، بيد أن كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام قد فاقها حجمًا وتنظيمًا، ثم ألف ابن قتيبة (غريب الحديث والأثر) وقد حققه الجبوري ونشر ببغداد سنة 1977، ثم الهروي (الغريبين) وحقق الجزء الأول منه العلامة الطناحي ونشر بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وللخطابي (غريب الحديث) وقد حققه أستاذي وشيخي عبدالكريم العزباوي ونشر بجامعة أم القرى، ولابن إسحاق الحربي (غريب الحديث) حقق بجامعة أم القرى كذلك، ولابن الجوزي كتاب في غريب الحديث نهج فيه نهج الهروي، وهناك كتاب للزمخشري (الفاوق في غريب الحديث والأثر)، ثم جمع ذلك كله وزاد عليه وفاقهم جميعًا الإمام أبو السعادات المبارك ابن الأثير في كتابه العظيم (النهاية في غريب الحديث والأثر)، وأفضل طبعاته التي بتحقيق العلامة الطناحي.

الخاتمة:

تبقى مشكلة واحدة تواجه المعاجم العربية ألا وهي أن تكون مُلمة بجميع المفردات والألفاظ العربية؛ لأنَّ أغلب المعاجم الموجودة حاليًا لا يحتوي على كلِّ الألفاظ والمفردات نظرًا لاعتماده على جهد أفراد فقط، وفي ظلِّ ما تُواجهه اللُّغة العربية من تحديات كبيرة في زمن السَّرعة والعولمة وانتشار الإنجليزِيَّة في كل مكان حتَّى التَّعليم يجب تكثيف الجهود للمحافظة عليها بشكل أكبر، والعمل على إنتاج معاجم عربيَّة تعمل على تطوير اللُّغة العربية والمحافظة عليها.

ولعل هذا الأمر هو ما دفع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية إلى تبني إصدار المعجم التاريخي للغة العربية، ذلك الأمل الذي ظلّ يراود الأمة العربية كلها، وقد أعانه على هذا تحمّل الشيخ الدكتور سلطان القاسبي عضو المجلس الأعلى لحكام الإمارات العربية المتحدة حاكم الشارقة تكاليف هذا العمل القومي الضخم، وقد ظهرت تباشير هذا الأمل بإصدار عددٍ من الأجزاء التجريبية، إلى جانب ظهور موقع المعجم الذي يتضمن الحروف من الهمزة حتى الحاء. وأدعو كل الباحثين والمهتمين بزيارة موقع هذا المعجم الذي يمثل حلم كل ناطق ومستخدم للغة العربية. <https://www.almojam.org>.
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات